(٥)

{ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه} زويت له الأرض وجعلت له مسجدا وطهورا اللهم برحمتك فاكشف عنا الغطاء لنرانا فيه

حديث الجمعة

١ شوال ١٣٨٣ هـ - ١٤ فبراير ١٩٦٤ م

{ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه}[١].

ربنا.. علمنا، وأدركنا، وعرفنا، وآمنا أن رسول فطرتك.. وحوض رحمتك.. وعبد عظمتك.. وجيئة حقك.. وسر خلقك.. وباطن أمرك.. وظاهر سرك.. وحديث جهرك.. ولسان حكمتك.. وكتاب علمك.. وبيت قبلتك.. ونُصب شعارك.. وجنة دارك.. ونار عدلك.. وعوالم خلقك.. ورب عوالمك.. وحق ناسوتك.. ووجه لاهوتك.. ومظهر ملكوتك.. كان هو نبأ أيامك عن يوم لك لا ريب فيه.

بأيامك لآحادك (يوم لا ريب فيه). جعلته بينهم لنا ولهم (يوم الجمعة)، يوم ينادي منادي الحجيج للاجتماع بأيامه له ليوم لك.. يوم يؤذن مؤذن الصلاة للإقامة بالاتباع {ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه}، {إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[٢]، إلا آتي عبدا للرحمن، إلا آتي الرحمن (يوما لا ريب فيه).

برحمتك بنا جعلته باطن قيامنا، يظهر في قيامنا حقا ورسولا وعبدا لا عوج له، ولا ريب فيه. رحمة للعالمين أبداه مولاه يوم جعله في العالمين اسما له وعبدا بمعناه، جاء به الحق لمعناهم رسولا من أنفسهم عالَمين بمبناهم، رسولا من أنفسهم بدأ، ومنه بدأهم. بدأهم منه أرواحا، وبدأه منهم أشباحا، فكان جماع أرواحهم روحا جامعا، على ما هم جماع أشباحه هو روح الحياة لهم. أول حقهم وخلقهم، حقا ومظهرا لأول العابدين له به فيه، (يوم لا ريب فيه).

رسول الله (يوم لا ريب فيه)، به جاء الحق للعيان ولليقين علم الحق للموقنين.. وقِبلة الله للمتقين.. وبيت الله للمسعَدين.. ومطاف الله للطالبين.. وعين الله للمبصرين.. ووجه الله للناظرين.. ويد الله للمبايعين.. وقريب الله للمجابين.. ونور الله للحائرين.. ونعمة الله للمفتقرين.. وحق الله للمتخلقين.

إنه يوم الدين.. ولولا كلمة سبقت من ربه لقضي في أمر العالمين. ما أبرزه الله للأشقياء التعسين إلا رحمة للعالمين، فما أشقاه بينهم بهم إلا ليذكر المتذكرين، إن نفعت الذكرى في عالم الشقاء نفعت المختبرين في عالم الأرض بالصدع والابتلاء، المبتدئين مرة وأخرى في عالم الألواح بجديد من موالد الأشباح، القارئين لأنفسهم في عالم الأشباح والألواح لإدراك النقيض لها ينتظرهم لعالم الأرواح، المتبصرين لما في السماء الدنيا، الراجين لما في سماوات الله العليا، النابتين كلمات طيبة في مهدها بالطيبين أصولها ثابتة للعارفين وفروعها في السماء متصاعدة، للمتجددين المبدلين تؤتى أُكلها كل حين بإذن ربها بالخبراء من عباد الرحمن الموحدين، سرمد الرسالة للمتشرعين، ودائم الطريق للسالكين.

{ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه}[٣].. في دورة الزمان.. في سرمدية الدهر.. في دورة الأمر خلقة الزمان والعصر.. في دوحة الإنسان.. في جنة العنوان.. في دار الرضوان بالإنسان للإنسان.. تبدأه الفطرة من أرض الطغيان والبهتان، تنشق عنه الأرض ببنيان، ذاتا لإحسان، عَلَما على من تنشق عنه السماء كتابا وعنوانا، تدانيا ووجدانا، فيلتقي فيه شديد القوى مع شديد الافتقار، فتتواجد العزة لعزيز الدار، فيخفض جناح الذل من الرحمة للادكار، ويبسط جناح العزة في خفاء للاعتبار، ويكشف للناس أنهم بين يدي رحمته، بين يدي رحمة الله، يذكر الله وحده أمرًا قد قُدِر، مذكرا، مبشرا، منذرا، محذرا.

يعلم أن له عقبى الدار على ما كان له من أمر عند بدء الدار، وعلى ما لربه بقائم الدار، فهو بدء العَمار، وهو مراقي المعمار. يسفر سيد الدار يوم تُبَدّل الأرض غير الأرض، يوم يُبرزها جنة قيام، وجنة مزار.

هو الفطرة.. هو عين الفطرة.. هو عودة الفطرة.. هو دورة الفطرة.. هو واحدية الكثرة.. هو عِلم اليقين.. هو عَلَم العبرة، جُعل لطالب الحق عبرة وفكرة.. هو الأسوة والقدوة والكائن والقدرة، جُعل من مظهره لظاهر الناس بداية الناس لمعاني ومعارج الإنسان، وجعل من مخبره لنهاية الناس رجاء الناس، وبشرى الناس، ومآل الناس، يوم هم به يتواجدون لأمر أنفسهم ناسوتا عبدًا للاهوت، يوم يتواجدون به آدم بنيان، مظهرا لإنسان إحسان، به عُرف الله، وبه قُدِر الله، وبه كان الإيمان به إيمانا بالله، وبدائم رسول الله. سبحان الله، وتعالى الله، {ربنا إنك جامع الناس، ليوم لا ريب فيه}[٤].

أبرزه الله يوما وليلة، ويوما وليلة، دواليك في مدار الزمان. كما أبرزه ليلة ويوم، وليلة ويوم كذلك. وها نحن يقع علينا القول فنستقبل إدبار ليل لفجر يوم جديد بعيد الفطر، بعودة الفطرة للسفور بمن عرفناه محمدا اسما، وما احتفظنا به في الناس أو في أنفسنا، لا معنى ولا رسما، وما آمناه للناس كوثرا، وما قَدَّرناه في الساجدين جوهرا، وما استخبرناه في الخبيرين خبرا، ولا تابعناه في العالمِين عَلَما، ولا في المعلمين كتابا ومِنةً وأثرا، ولا في المشرقين به لله نورا، ولنور الله نُصبا، ولحق الله ساحة وحضرة وشمسا وأرضا وقمرا.

ها نحن يقع علينا القول مرة أخرى، برسول من أنفسنا تواجد بيننا عجيبا، وعِيد إلينا غريبا، عندما طلبته في يومه قائما قلوب تنشد الحق، وقد ظهر الحق بفجره من ليله بيوم لقبله قلوب لباها فعرفته، قلوب أحبته فأمسكت به لظاهر الحق حجابا، وسألته عن الله ورسوله في الناس عشقته معرفةً، قربا من الله ورسوله آمنته، فرفعت أغطية المظاهر، وتكشف الحق بجوهر ظاهر، وقد لبى الله ورسوله لا يفرق بينهما فارق النداء، وحقق الله لطالبه الرجاء، فظهر الأب السريع مجيبا لأهل الدعاء، وهو الكل الملبي للجزء منه بأهل النداء، أولى بالمؤمنين من أنفسهم ظلاله من أزواجه، لأحدية أمره عَلَم الأحد وحقه في خدمة المؤمنين والأبناء - ظهر العبد وربه لطالبيهم فقام الطالب بالمطلوب، وعُرف به ظاهرا هو لهما له باطنا الحق المرغوب.

يقوم ويتقلب في الساجدين عبادا للرحمن، وأبوابا لحضرته، ونوافذ لإشراقه بطلعته، وأحواضا للحياة برحمته، وسفن للنجاة بشرعته، والطريق السوي باستقامته. {ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه}[٥]. ربنا لا تناسانا في هذه الكرة، ولا تدعنا نتخلف هذه المرة، ربنا عليه فاجمعنا، ومدخل صدق فيه فألحقنا.

ها نحن نطأطئ الرؤوس لبيت قبلتنا، وواقع شريعتنا، بدورة رسالتنا.. ها نحن ندخل الباب سُجَّدا.. ها نحن نعرف مواضعنا عند أقدامه، ونعرف افتقارنا وحاجتنا لقسمه من يد إحسانه، نؤمن به إيمانا بالله ورسوله، لا شريك في الأمر لله ورسوله، نعرفه رسول الله، ونؤمنه وجه الله، ونستقبله يد الله، وننتظره قرب الله، ونتواصى به حق الله، ونسعد به وجها من وجه الله.

محمد.. عيد.. غريب. محمد في الأولين، ومحمد في الآخرين. نسي اسمه يوم ظهر في العالمين، وقد سقطت قيمة الأسماء عند الراشدين، وتجاهل وضعه يوم نزل للوضيعين، وأنكر على نفسه عين الحق للعالمين يوم ظهر في الأمة الوسط للحق والدين، ولم يُبَئِّس أو ييأس من كسب الحق للهاوين.

بَشر بالأعلى.. بشر بالرفيق الأعلى من المرسلين، وهو جماع الرسل للعارفين، وهو رسالة الله للمكبرين، هو الله أكبر للعالمين، وهو لا إله إلا الله للمؤمنين، وهو سفن الخلاص للعاملين، الداعين، المجاهدين. وهو الجزاء والعطاء للمؤثرين، المضحين، الأصفياء، الصافين، يقوم ويتقلب في الساجدين.

إنه بين العالين، وإنه إلى الهاوين، وإنه في القائمين، جعلت به حضرة الأرض وسطا بين العالين والسافلين من العالمين. وما اتصف العالون بالعالين إلا عليها قائمين بكسب معناها لعين معناهم بادئين، به مرتقين. وما سُمي السافلون بالسافلين إلا لأنهم دونها لفقدان معناها منها هاوين. وما سميت حضرة للحق للموحدين إلا بالحق به في المتواجدين، ليتواجدوا بمعناه متحققين. شجرة الإنسان طيبة به أصلها ثابت وفرعها في السماء متصاعد، تؤتي أكلها كل حين.

إن الأرض بسماواتها وبسفلها وحدة إنسان، أو وحدة نفس لإنسان، قيام أحد بعنوان، اسما لله بالإيمان. استوى على عرشها علم الإحسان، ووجه الرحمن، وسر الإنسان، وباطن العنوان لظاهر القيام والكيان، {مالك الملك تؤتي الملك من تشاء}[٦]. تأملوه يوم قال بظاهره لرجل من أصحابه صحا به، (تحشر على يدي هذه إلى الجنة يوم القيامة)[٧]، يوم تستكمل نموك فيَّ معي. وتأملوه يوم قال (أعلمني الله في موقفي هذا، في دورتي هذه، في قيامتي لكم بالحق، ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة)[٨]، يشير إلى أنه أحدية بمعناه لها أطرافها من الخلق والحق. تأملوا قول الله له، وهو إلينا يوجه القول وهو يقول {قل جاء الحق وزهق الباطل}[٩]، وقوله {أولم يروا أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}[١٠]، {أرأيت الذي يكذب بالدين}[١١]، {فذلك الذي يدع اليتيم}[١٢]، الذي يدعك أو يدع كوثر ذاتك، يتيما مُآوىً دائما، أنت اليتيم المُآوى، بلا عَد وبلا حد، أما السائل فلا تنهر، وأما اليتيم فلا تقهر.

وقد أظهرك على الدين كله، خاطب الناس على قدر عقولهم، واخفض لهم جناح الذل من الرحمة، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}[١٣]، فأنت وجهه لهم حتى تُرفع الغشاوة عن أبصارهم، ولا تعدو عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا من الناس، ملكتهم دنياهم عبادا لها.

إن الله جامع الناس عليك يوما لا ريب فيه في دوام، وقد جعل في الاجتماع عليك الدين والعلم والحياة، وأنه مُظهرك يوما بالمحمود عندهم {يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا}[١٤]، يعرفونك اليوم لا ريب فيه، اصبر وما صبرك إلا بالله، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا عندهم، فما عرفوا ربهم إلا بعزته، وقد أنكروه عليك وجها له برحمته، وقد جعلك الله رحمة للعالمين بوجوهه بآياته لمعناك ليشهدوك يوما، وقد جعلك لهم يوما لا ريب فيه، يوم تنشق الأرض عنك، ويخرج الله لهم دابة من الأرض تكلمهم، أن الناس كانوا بآياته منهم لهم لا يوقنون.

{فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى}[١٠]، لا نسألك رزقا من عباد فأنا الغني عن العالمين، ولو شئت لهديتهم أجمعين، ولكن أرزقك ظلالا لك وعبادا لي لعين عبوديتك، فاصبر وما صبرك إلا بالله وسأعينك على الصبر فلا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون، إنما يريد الله ليذهب الرجس عن أهلك ويطهرهم تطهيرا، وقد جعلك لهم بيتا موضوعا يذكر فيه اسمه بجمعهم عليك، يوما لا ريب فيه يتحقق لك بهم ظلالا لك، ولهم بك عقبى الدار، ولله بهم أسماءً له عقبى الدار، ولعباد الله سادةً وعبادا لهم عقبى الدار، وجوه الله لوجهك ناظرة، ومنك منظورة، وجوه ناضرة لربها ناظرة.

يسفر ذلك للمؤمنين يوم يكون أمر الله أمرك. أرسلناك أمر الله ولم نجعل فيك عجلة الإنسان. وجعلنا لك بالرفيق الأعلى في رسالتنا استواء، وجعلناك وإياه سواء، قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، قل إني ومن اتبعني صراط ربي المستقيم، قل إن ربي لعلى صراط مستقيم، قل إن الرفيق الأعلى لي والأعلى له على صراط مستقيم، قل ها أنا أظهره صراطا مستقيما إلى أبد وهو لي ظاهر الصراط المستقيم إلى أزل.

اسألوني ما شئتم، فإن سألتموني عن ربي أجبتكم، وإن سألتموني عني كنتكم، فلا فرق بيني وبينكم، اتبعوني يرحمكم ربي كما هو راحمي، وكما رحمني، وكما سوف يرحمني، فإني بافتقار لرحمته كنت، وفي افتقار لرحمته ها أنذا كائن، ولن أتخلى عن معاني الافتقار لرحمته مهما أعطيت ومهما كسبت.

فمهما تكاثرت، ومهما تجددت، ومهما في الناس امتددت أعلمه لا إله إلا هو، وأشهده لا إله إلا هو، وأقومه لا إله إلا هو، وأدعو إليه لا إله إلا هو، وأدل عليه لا إله إلا هو، وأُعلمه لا إله إلا هو، وأقومه بقيامي لا إله إلا هو، وأنزهه لا إله إلا هو.

لا إله إلا هو شعاري، ورسول الله شعاركم، وفي شعاري مَنْ يكون محمد، وفي شعاركم من تكونوا أنتم.

لقد بُعث الرسول بالحق، وغاب عن وصف الخلق، وقام بوجه الخالق روح قدس الله، ورسول الله، وعبد الله. عبد الله وأي عبد.. ورسول الله وأي رسول.. روح الله وأي روح.. رب الناس وأي رب.. ورب العالمين وأي عالم للعالمين.. إنه الحق من الله لطالبي الحق.. إنه الصدق يوم يصدق الصادق مع الله في طلب الله.. إنه الوفاء يوم يُوفى الإنسان في الله.. إنه تلبية النداء يوم يدعو الإنسان ربه فيجيبه إليه.. إنه الإنسان يوم يتجاوز الآدم ظاهر مبناه إلى باطن معناه.. إنه اسم الله لذات الله.. إنه روح الله لقدس الله. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

إلى رسول الله.. إلى عبد الله.. إلى ابن عبد الله.. إلى إنسان الله.. إلى عبد الإنسان في الله.. إلى إنسان وجه الله للإنسان.. إلى يد الله، وصفات وجوارح إنسان الله.. إلى عَلَم الله، وشعار الأقدس لأعلام الله.. إلى الأقدس لأعلامنا، أعلاما لله.. إلى الوجود.. إلى مظهر الوجود.. إلى سيد الوجود.. إلى وجه الوجود.. إلى يد الوجود والجود مبسوطة.. إلى رسول الله نلجأ، ونجأر، وندعو، ونفتقر، ونطلب، ونصل، ونصلي، لنتواجد بدائم موجوده لتواجده حتى نحيا بكسب دائم الحياة فيه، ودائم الحياة له.

به نتوسل إلى الأعلى في معارج الله، وبه نستعين عزة الله وعزة الأعز للرفيق الأعلى في رسول الله، أن يولي أمورنا خيارنا، وأن لا يولي أمورنا شرارنا ردا لأعمالنا علينا. وبه نسأل الله أن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يستغفر عنا إلى الرفيق الأعلى لمعناه حتى يرضى، {ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما}[١٦].

ها نحن في ساحة مَن عَاد غريبا بيننا، محمدًا لنا، فما عرفناه بنا إلا بالأسماء لنا روح إرشادنا، روح القدس لعوالمنا، روح القدس لأرضنا، روح الأرواح لسماء عوالمنا، وسماوات مراجعنا، ومعالمنا، الروح المرشد لنا بعلمه عليه لمعناه، روح قدس الله، كما عُرف قديما بمحمده، قد عِيد غريبا بيننا على ما شَرُف، وما عرف، به نتوسل على ما أمرنا ونتابع على ما هُدينا.

لقد قَدَّر الناس لمحمد أمره فيهم بمقياس أنفسهم، أنه كلما غاب علا، وأنه كلما أعطى استعلى، ولم يدركوا أنه كلما غاب بنى، وكلما أعطى تواضع بيننا. رُب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وكيفما تكونوا يولَ عليكم.

إن الأشعث الأغبر تحت الأقدام، إنما هو السيد المالك فوق الهام، تيجان الملوك عند نعليه، وقلوب العباد بين أصبعيه. ما ظهر إلا بجناح الذل من شامل معناه ليرث الأرض ومن عليها بذاته ومبناه، {يوم لا ريب فيه}، عبدًا وعبادا للرحمن في معناه.

ما عرف صدر الإسلام رسول الله، إلا حاكما، إلا أميرا، إلا آمرا، إلا أمير قرية، أو أمير قريتين، أو أمير بلقع من صحراء، وهو الذي بدأ بينهم مثالا لهم يحتذوه من القاع. بدأ بينهم من تحت الثرى مغمورا، انشقت عنه الأرض وعمل عليها حتى صار عَلَمًا مذكورا. انشقت عنه عين انشقاقها عنهم، وقام بينهم رسولا منهم فما عرفوه، هل هبط عليهم من السماء في أمسه أم أن السماء هبطت عليه، وها هو يعود غريبا فلا يقدروه، ويظهر أبا سريعا من أنفسهم فلا يستنجدوه، وتجتمع فيه الأرض والسماء عَلَمًا وحجابا فلا يستقبلوه.

وهم ما زالوا يتحدثون عن الله، وعن رسول الله، وعن رسالة الله، ويتبعون كل شيطان مريد باسم الله ورسوله، فإنهم لا يعرفون الحق حتى يعرفوا أهله، ولا ينظرهم الحق فيحسون بالحق يوم يتخلل أنفسهم بروحه ونوره. وكيف يتخلل أنفسهم، وأنفسهم مزورة عن الحق، وهو الغني عن العالمين؟ فليربحوا كرتهم، أو ليخسروا كرتهم كما يشاءون، فإن الله معهم يخسروه وإن الله معهم يربحوه، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فهكذا أراد من كانت إرادته لا تعصى ولا تخالف، ولا ترد.

إنه الهادي للسبيل يوم تكفر النفس، وإنه الهادي للسبيل يوم تؤمن النفس، هدى السبيل شاكرا وكفورا. عَلَّمنا ذلك كله مَن عَلِمَ ذلك كله ومثله معه، أُعطي الكتاب لأمته يتلوه فيهم على مكث له بينهم، ومثله معه لحقيقته في دوام تجمعهم.

نسأل الأعلى فيه أن يرحمنا به، ونسأل الأعلى عليه أن يحقق له في دوام إرادته بالرحمة لنا، ونسأل الأدنى فيه أن يصلي عليه بنا، {إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}[١٧].

تذكروه في أوقاتكم، وفي أنفاسكم، وفي كل وقت وحين، وكلما عِيدت فطرة بعيد الفطرة. وكل عام وفي دوام وأنتم بخيره آمنين، وأنتم بخيره سالمين، وأنتم بخيره مسلمين.

أضواء على الطريق

عن المرشد الحكيم السيد الروح (سلفربرش)

(ما زلتم تفكرون بلغة الأجسام المادية. إنكم لا تفكرون بلغة الأرواح التي تعبر عن نفسها خلال الأجسام المادية. الجسم عرضي والروح أبدية. يجب أن تركزوا جهودكم في الروح، لأنه إذا ما علمتم الروح وأعددتموها فإنها سوف تظهر خلال الجسم ومن تلقاء ذاتها ما هو صواب وصالح وضروري.

إني أعلم أن هذا كله شيء يسير جدا، وسبق أن قيل لكم ولكنه يجب أن يقال ثانية وثالثة لأهميته وخطره في حياتكم. إذا كان الثأر هو دفة القيادة اقتلعت العاطفة الجامحة المنطق المستقيم من الناس، وماتت الحكمة.

أنتم تعيشون في عالم مادي، وبذا تصبحون منهمكين في الأمور المادية. وهي مهما كانت مُرَّة وصعبة، مهما كانت شاقة ومتعبة، مهما كانت مرهقة ومظلمة، فهي ظلال الحقيقة الخالدة هي ظلال الروح.

أُريد منكم جميعا أن ترددوا دائما نغمة الثقة الهادئة، وأن تتمسكوا بما لديكم من معرفة. تأكدوا أن الضوء يسطع خلال الظلام، أن أشعته سوف تحيط بعالمكم. وإن الظلام لا ينكشف للغارق فيه. ويراه على حقيقته من خرج منه إلى النور).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة آل عمران - ٩

٢ سورة مريم - ٩٣

٣ سورة آل عمران - ٩

٤ سورة آل عمران - ٩

٥ سورة آل عمران - ٩

٦ سورة آل عمران - ٢٦

٧ من حديث شريف ذات صلة: "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته في الدنيا، إلا أنا فإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، وإنها نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً." صحيح البخاري.

٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٩ سورة الإسراء - ٨١

١٠ سورة الرعد - ٤١

١١ سورة الماعون - ١

١٢ سورة الماعون -٢

١٣ سورة الكهف - ٢٨

١٤ سورة طه - ١٠٨

١٥ سورة الأعلى - ٩:١١

١٦ سورة النساء - ٦٤

١٧ سورة الأحزاب - ٥٦